

قضايا المرأة في الأدب النسويّ وصراعاتها، دراسة تطبيقية

على رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي

أسماء الصّمايرية¹

ملخص:

يعدّ الأدب النسويّ من أهمّ المباحث التّقديّة المعاصرة، التي شغلت الدّراسات الأدبيّة والحضاريّة لما تطرحه من إشكالات عميقة مرتبطة بالمرأة- في مقام أول؛ إنّها المنتجة لهذا الصّنف من الأدب سعياً منها إلى التّحرّر من كافّة أشكال الظّلم المسلّطة عليها. من هنا جاء تخيرنا لمبحث "قضايا المرأة في الأدب النسويّ وصراعاتها، دراسة تطبيقية على رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي"، ليلقي ظلاله على أهمّ القضايا التي ضمّنتها لأدبها، وعلى أهمّ الصّراعات التي عايشتها في رحلتها لإثبات ذاتها. بهذا يمكننا أن نضبط إشكالات هذا البحث في الأسئلة الآتية:

ما هي القضايا التي طرحتها المرأة في مسار نضالها من أجل الكينونة؟

وما هي الأشكال التي اتّخذتها صراعات المرأة في الرواية؟

وكيف تمكّنت من تحقيق تحرّرها من القيود التي واجهتها؟

الكلمات المفتاحية: صراع- قضايا- المرأة- الأدب النسويّ- الذات.

مقدمة:

الكتابة- أيّا كانت- هي فرض للوجود وإعلان عنه، وإثبات لهويّة الذات، إنّها حقيقة لا سبيل إلى إنكارها أو التّنكر لها. يعدّ هذا السّبب الأساسيّ الذي دفع المرأة لأن تكتب وتعبر عن رغبتها في الوجود، وأن تكون في وضعٍ جديدٍ تتجاوز به ما عانتها من تهميشٍ وقهرٍ ممارسٍ عليها، وسالٍ لذاتها. لهذا سعت إلى البحث عن طرقٍ تمكّنها من الخلاص والتّحرّر؛ وقد رأت في

¹ أستاذة في المعهد العالي للدّراسات التّطبيقية في الإنسانيّات بقفصة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

بسوسة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بنمسك.

التوسل بالإبداع الأدبي سبباً لتنقل ألامها وتنفس عما تعرضت إليه من ضغوطات في حياتها منذ وجودها إلى اليوم. من هنا، كانت "قراءة أدب المرأة أدباً مستقلاً هو إبراز لمكانتها وذاتها وصوتها الذي أأمد لزمان"¹ فجاء توسلها بالكتابة وسيلة من وسائل تحررها؛ كتابة تجعل من المرأة تركّز على "أناها" وتبحث عن موقعها داخل اللغة التي تتشكّل بها رؤيتها للعالم، وتتحقق بها حرّيتها².

- الأدب النسوي³:

بدأ الحديث عن نظرية مختلفة من الكتابة في الغرب، وتحديدًا مع "الحركة النسوية العالمية"⁴ التي برزت في فترة السبعينيات؛ وشكّلت إعلانًا عن وعي المرأة بضرورة القيام بتغيير جذري لوضعها، والدفاع عن هويتها المسلموبة. وتعتبر المرأة الغربية الأولى من بين جميع النساء

¹ - بثينة شعبان "مائة عام عن الرواية النسائية 1899-1900"، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ص24.

² - رشيدة بن مسعود "المرأة والكتابة"، إفريقيا الشرق، 1994، ص15.

³ - لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الصنف من الأدب قد اختلفت تسميته وتوزعت على مصطلحات ثلاثة وهي "الأدب النسوي" و"الأدب النسائي" و"الأدب الأنثوي". غير أنّ المصطلح الأكثر استعمالاً من بينها هو "الأدب النسوي" لأنه - حسب رأي - المصطلح المستعمل الأكثر إحالة إلى خصوصية ما تكتبه المرأة مقابل ما يكتبه الرجل. للتوسّع ينظر:

- نعيمة هدى المدغري "النقد النسوي (حوار المساواة في الفكر والأدب)، منشورات فكر دراسات وأبحاث، الرباط، المغرب، ط1، 2009.

- شيرين أبو النجا "عاطفة الاختلاف (قراءة في كتابات نسوية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1998.

- بوشوشة بن جمعة "الرواية النسائية المغربية"، المغربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2003.

⁴ - مجموعة من المؤلفين "الحركة النسوية"، ترجمة جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، ص15.

في العالم التي طالبت بحقوقها ونادت بحريتها، وبالمساواة بينها وبين الرجل؛ واعتبرت أنّ جميع الحركات التي تطالب بحريّة المرأة يجب اعتبارها نسويّة حتّى وإن لم يُطلق أصحابها على أنفسهم هذه التسمية¹.

فشكّلت هذه الحركة تياراً ثورياً متمزداً عن كلّ أشكال المعاناة التي لاقتها المرأة الغربيّة. وهذا الأمر عائدٌ إلى أسباب عديدة منها ما ذهب إليه "ماري ويلستونكرافت وفنديكيشن" حين رأّت أنّ المجتمعات تقوم بتعليم النساء وتربيتهنّ على أمهنّ يخلقن توقّعات محدودة، بناءً على صورة ذاتيّة تملها وجهة نظر الذكور التّموجيّة².

برزت الحركة النسويّة التي كان ظهورها الأوّل إثر انطلاق الحركات النسويّة الغربيّة، مطلع القرن العشرين، المنادية بحقوق المرأة، ورفض سلب كيانها، وطمس ذاتها. حركات أرادت استرداد حقّ الهويّة النسويّة المغيّبة؛ وقد ظهر نتيجة لكلّ هذا ما يعرف بالأدب النسويّ؛ أي الأدب الذي يهتمّ بقضايا المرأة؛ أدب مهمته وغايته إعطاء المرأة مكانة وأهميّة، والاعتراف بقدرتها على اكتساح مجالاتٍ ظلّت -ولعصورٍ- حكراً على الرجال يستأثرون بها لأنفسهم دونهنّ، وكتابة نسويّة "تتمرد على كتابة الذكور، أو كتابة المجتمع التي تنتج في سياق وعي الذكورة ونفسيّة الأبوة، وسلطة الرجل..."³.

¹- Ann Taylor (1999). "Feminism, Social Science, and the Meanings of Modernity: The Debate on the Origin of the Family in Europe and the United States, 1860–1914". The American Historical Review. 104 (4): 1085–1113

- Botting, Eileen Hunt; Houser, Sarah L. (2006). "'Drawing the Line of Equality': Hannah Mather Crocker on Women's Rights". The American Political Science Review. American Political Science Association. 100 (2): pp. 265–278.

²- Alexander, Meena. Women in Romanticism: Mary Wollstonecraft, Dorothy Wordsworth, and Mary Shelley. NY: Rowman and Littlefield (1989), p40.

³ - حسين المناصرة "النسويّة في الثقافة والإبداع"، عالم الكتب الحديث للنشر، أربد، الأردن، 2008.

وقد ظهرت هذه الكتابة وتأسست مع رائدات غربيات لهذا المجال؛ على غرار "فرجينيا وولف" (Virginia Woolf)، و"سارة جامبل" (Sarah Gamble)، و"سيمون دي بوفوار" (Simone de Beauvoir). ثم تطوّر هذا الصنف من الأدب، وشاع، ليصل إلى العالم العربي، وتتأثر به ناقدات وكاتبات عربيات، ويتبينه. والباحث في إسهامات المرأة في مجال الأدب يلمح أنه لم يتمّ القبول التامّ والاعتراف الكليّ بها إلى حدود مطلع القرن العشرين- المكان الذي حدثت فيه نقلة نوعيّة ازدهر على إثرها الأدب النسويّ.

وإنّ السبب الكامن وراء ما سُمّي "نهضة المرأة العربيّة" يعود -حسب "حفناوي بعلي"- إلى "تأثير التيّار الغربيّ المتمثّل في الحركة النسويّة العالميّة؛ أمّا العامل الثّاني فهو تولّد الوعي لدى المناضلات من النساء بأوضاعهنّ الاجتماعيّة والجنسيّة".¹ حيث سعت المرأة العربيّة إلى الخروج من سجنها الاجتماعيّ والأدبيّ على حدّ سواء، والبحث عن هويتها وذاتها، سائرةً على خطى نظيرتها الغربيّة؛ متأثرةً بها وبعوامل² عديدة أخرى، متمرّدة على تسلّط الرّجل عليها وتعالیه عنها. فبدأت بالتأسيس لنمط جديد من الإبداع، "يعلن عن وجوده ويسجّل حضوره في الحقل الأدبيّ، الذي كان حكراً على الرّجل أو يكاد"³ كوسيلة لفرض ذاتها، والدّفاع عن قضاياها عبر صراع مستمرّ اتّخذ أشكالاً عديدة في كتاباتها.

ولئن كانت الأعمال الأدبيّة المعاصرة تسعى إلى تسليط الضوء على مختلف جوانب القضية الإنسانيّة، وتسعى أيضاً إلى التّركيز على أكثر القضايا الشائكة المتعلّقة بالإنسان ووجوده؛ فإنّ الرّواية من بين أكثر الأجناس الأدبيّة التي سعت إلى ملامسة أوجاع الإنسان أينما كان.

¹ - حفناوي بعلي "النقد النسويّ وبلاغة الاختلاف في الثّقافة العربيّة المعاصرة"، الملتقى الدوّليّ حول (الكتابة النسويّة: التلقّي، الخطاب، التمثّلات)، المركز الوطنيّ للبحث في الانثروبولوجيّة الاجتماعيّة والثّقافيّة، وهران، الجزائر، 2010، ص33.

² - حفناوي بعلي "النقد النسويّ وبلاغة الاختلاف في الثّقافة العربيّة المعاصرة"، ص33.

³ - بوشوشة بن جمعة "الرّواية النسائيّة المغاربيّة"، ص15.

لهذا فقد تخيّرنا النظري في الأدب النسويّ لننزاح به نحو تبين قضايا المرأة ودراسة صراعاتها، من خلال نصّ مختار وهو رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغاني. ولعلّ كتاباتها من بين أفضل ما يمكن دراسته في تناولنا لمبحث "صراع المرأة في الأدب النسويّ وقضاياها"؛ خاصّة وأنّ هذه الكاتبة قد كرّست رواياتها للمرأة، المرأة الفاعلة والقويّة، وكثيراً ما جعلت الرّجل شخصيّة تحمل نقائص، وسوف نقف على هذا الأمر في روايتها "الأسود يليق بك".

هذه الرّواية بطلتها "هالة الوافي" وهي معلّمة لغة عربيّة، منعها والدها من الغناء وهو الموسيقار الشهير، لم يرلها مستقبلاً يليق بها كامرأة سوى وظيفتها تلك. لكن بعد أن قتل الإرهابيون والدها وشقيقها، كرّست صوتها لقضيّة حرّمتها ضدّ الإرهاب. رآها رجل الأعمال "طلال هاشم" وأعجب بثقتها بنفسها وعنفوانها، لاحقها أينما ذهبت وأقام عليها حصاراً باهتمامه، أوقعها في شباك حبّه وقد وقع قبله أسيراً لها، لم تكن تلهث خلف ماله فهي لم تُظهر له يوماً أنّها بحاجة إليه، وترفعها ذلك هو ما سلب منه عقله، أراد امتلاكها فحسب، أرادها ألاّ تتحدّث إلى غيره وألاّ تضحك لغيره، حسب أنّه اشتراها بماله؛ لكنّها أحبطت توقّعاته وأنزلتها إلى القاع ولم تنحن له، تحدّته وكابرت حتّى لا تعود إليه ذليلة، هرزمته وهو الذي لا عهد له بالهزيمة.

I- قضايا المرأة في الرّواية:

من البديهيّ القول أنّ الأدب عامّة وعاء حاضن للقضايا التي يريد كاتب ما من خلالها تسليط الضّوء على مسألة معيّنة. ومن البداهة أيضاً القول بأنّ مهمّة الأدب النسويّ، نقل أوضاع المرأة التّفسيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة والعاطفيّة. من هنا تتحدّد القضيّة الأكبر للأدب النسويّ والتي لا يمكن دحضها أو التّشكيك فيها؛ ألا وهي المرأة وحرّيّتها وكيّونتها أوّلاً وأخيراً. وبتدبّرنا لرواية "الأسود يليق بك" وجدنا طرحاً لقضايا نعدّها فروعاً للقضيّة الأمّ؛ وهي الأساس قضايا سياسيّة واجتماعيّة ونفسيّة عاطفيّة توزّعت في الرّواية على التّحوّلات الآتي:

- قضيّة محاربة الإرهاب بمعناه المادّي والمعنويّ.

- قضية الزواج.

- قضية الحب.

أ- قضية محاربة الإرهاب المادّي والمعنوي:

اتخذ الإرهاب في الرواية أشكالاً عديدة ظلّت تواجهها بطلة الرواية الواحدة تلو الأخرى؛ حيث "تصدّت لإرهاب القتل، إرهاب الدولة، وإرهاب العائلة.. وها هي أمام الاستبداد العاطفي"¹. لقد ارتبط حضور المرأة في رواية "الأسود يليق بك" بقضية تبنتها البطلة، وكافحت من أجلها، تتعلّق بحربها مع الإرهاب والإرهابيين الذين قتلوا والدها وأخاها.

كانت تريد أن تثار بصوتها لأبيها الذي أخدموا موسيقاه وصوته، ولأخيمها الذي سرقوا شبابه منه وحرموه أن يكون مع التي تمنّاها زوجة له. أرادت أيضاً أن تثار لنفسها بعد أن هدّوها؛ امرأة لا تخاف الإرهاب وهي تعلم ما قد يؤول إليه مصيرها إن طالتها أياديهم، لا يمكن أن تهزم لسبب آخر.

وإنّ تنزيل الأحداث -ضمن الوضع المتأزم في الجزائر في حربها ضدّ الإرهاب الذي بدأت حلقاته بالتوسّع في فترة الثمانينيات- إنّما هو إشارة وحديث مستبطن عن إرهاب آخر معنويّ في المجتمعات الجزائرية يمارس على المرأة من تهيش وطمس لذاتها تقول هالة "ثمّة إرهاب معنويّ يفوق جرائم الإرهابيين أنفسهم"². إرهاب لا يرى دوراً للمرأة غير تأسيسها لعائلة وتربيتها بين جدران المنزل.

ولا ينبغي أن نغفل عن أنّ ارتداء "هالة" للأسود في النّصّ، حداداً على مقتل أفراد من عائلتها؛ هو رمز وظّفته "أ. مستغانمي" للإحالة إلى وضع المرأة في ظلّ تسلّط المجتمع الذكوريّ، الذي تجلّى في الرواية في نوعٍ من الإرهاب العائلي والعاطفيّ واتخذ اللون الأسود رمزاً للظلمة التي تعيش فيها المرأة تقول: "الحداد ليس في ما نرتديه بل في ما نراه. إنّه يكمن

¹ - أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، نوفل، هاشيت انطوان، بيروت، لبنان، 2012، ص307.

² - المصدر نفسه، ص16.

في نظرنا للأشياء. بإمكان عيون قلبنا أن تكون في حداد... ولا أحد يدري بذلك"¹ حداد تمرّدت عليه وكسرتّه في آخر الرواية بأن ارتدت لونا لازوردتياً يحيل إلى الأمل والحياة.

ب- قضية الزواج:

الزّواج من بين العلاقات الاجتماعيّة المقدّسة، التي تربط بين شخصين، أساسه الحبّ والتّفاهم لبناء مجتمع حضاريّ. وقد كان من ضمن القضايا التي تناولتها الرواية؛ فقد أرادت المؤلّفة تسليط الضّوء على مسألة الزّواج التقليديّ، الذي يُفرض على المرأة وتُجبر عليه فعمدت إلى كسر هذه القاعدة في روايتها بأن جعلت هالة ترفض زواجها من "عبد القادر" وتفسخ خطبتها منه لأنّها لم ترَ بينهما توافقاً وتناغمًا.

والزّواج الذي لا انسجام روحيّ فيه يمكن أن يجعل المرأة تبقى عانسًا، حتّى وإن تزوّجت "بإمكان فتاة أن تتزوّج وتنجب وتبقى رغم ذلك في أعماقها عانسًا، وردة تتساقط أوراقها في بيت الزوجيّة."² لقد عكست لنا نظرة المرأة للزّواج، ولعلاقتها بالأخر فيه؛ فهو ارتباط لا يكون فيه عقد الزّواج ضامنًا لنجاح العلاقة بين الطرفين، والدليل على ذلك عجز الكثير من الأزواج عن الاستمرار، وعن فضّ المشاكل العائليّة بسبب عدم التّوافق، فينتهي بهم الأمر إلى الطّلاق.

لكنّ بطلة الرواية -في المقابل- وجدت في شخص "مصطفى" شخصًا مناسبًا للزّواج "مصطفى تمّنّه زوجًا، الحياة معه لها خفة دمه، والقلب لا تجاعيد له"³. حتّى علاقتها بـ "طلال هاشم" لم تنقطع، أملاً في علاقة شرعيّة معه⁴. بقدر ما قدّست المرأة في هذه الرواية الحبّ والعلاقة الزوجيّة، تجلّى الرّجل غير ملتزم بقيد الزّواج، فقد أقام علاقات عديدة مع نساء كثيرات، خارج نطاق الزواج، رغم حبّه لزوجته، إلا أنّه لم يتردّد في

¹ - المصدر نفسه، ص 16.

² - أحلام مستغاني "الأسود يليق بك"، ص 22.

³ - المصدر نفسه، ص 25.

⁴ - المصدر نفسه، ص 205.

خيانتهما، علّه يرزق بالصبيّ الذي لم تقدر زوجته على إنجابها، صبيّ يحمل اسمه ويرث ثروته ويحمي شرفه بعد وفاته¹.

ج- مسألة المرأة والحبّ:

قد لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أنّ الحب لا يكتسب قيمة أساسية ضمن الكتابات النسوية؛ "فقد شكّل الحبّ عالمًا نستطيع أن نقول عنه عالمٌ موازٍ للواقع العربيّ، الذي تجسّدت فيه هيمنة الرجل على المرأة"² وفي رواية "الأسود يليق بك" كان للحبّ حضورٌ آخر مزدوج؛ بين الرّفص والتنگر التّام له من قبل أهل "مروانة"، وبين الاعتراف الكليّ به من طرف بطلة الرّواية.

لكنّه ارتبط بشكل أو بآخر بالجسد الأنثويّ "هو لم يهبها قبلة... وهما شفيتها، فما كان لها قبله من شفيتين!"³ وكان طريقًا لاكتشاف المرأة لجسدها "لم تكتشف لها شفيتين إلا حين قبّلها. ولا أنّها كانت تنفّس إلا حين قاسمتها في قبلة أنفاسه. ولا أنّ لها شعرا إلا وهو يمزّر يده على خصلاته. ولا أنّ لها جسدا... ورائحة وحواس... إلا عندما أهدى لها في ضمة أنوثتها"⁴.

كما وهب للرجل "رجولته" "في الواقع هي تجهل أنّها من أهدت له رجولته"⁵. لقد كان الحبّ في الرّواية -والذي طالما كان أمرا محرّما في مروانة، يعاقب كلّ مُجاهرٍ به- سبيل المرأة لمعرفة ذاتها وإدراك قيمتها أكثر من ذي قبل؛ مثلما كان الفيصل بين محاولات الاستعباد -

¹ - أحلام مستغاني "الأسود يليق بك"، ص 276.

² - جابر خضير جبر "المرأة والسّلطة قراءة في الموروث النقديّ"، مجلّة واسط للعلوم الإنسانيّة، عدد 19، ص 13.

³ - أحلام مستغاني "الأسود يليق بك"، ص 142.

⁴ - المصدر نفسه، ص 218.

⁵ - المصدر نفسه، ص 219.

من قبل الأهل ومن قبل الحبيب الذي حاول امتلاكها بكلّ ما تحمله الكلمة من معانٍ- وبين التّحرّز والحريّة.

لقد بثّ فيها الحبّ حياةً جديدةً، لا عهد لها بها، كان في حياتها شيئاً مقدّساً، لا تحكمه مصالح ولا مادّة. لقد وجدت به ذاتها "أدركت أنّ الحبّ، قبل أن يكون كيمياء، هو ايقاع كائنين متناغمين؛ كأزواج الطّيور والفرّاش التي تطير وتحتطّ معاً، دون أن تتبادل إشارة".¹ منحت الحبّ والحبيب ثقهما دون شروط؛ ولأنّ الرّجل لم يمنح ثقته لا للحبّ ولا للمرأة إلا بعد اختباراتٍ عدّة وضعها فيها؛ لأنّه كان حذرًا من أصدقاء الجيب بحكم ثرائه؛ غلبته المادّة في النهاية، وجرفت في طريقها كلّ الحبّ، لم تُبق منه إلا معاناته، وألمه. تركه الحبّ سجين سوء ظنّه. أمّا هي فقد تحرّرت، وحلّقت عاليًا، فقد فكّ -حيّما لنفسها وتقديرها لذاتها- قيدها ونسف تبعيّتها للرّجل الذي رأى في الحبّ تملّكًا واستعبادًا تامّين للمرأة. الحبّ الذي اكتشفت من خلاله "أنّ رجلاً لجأت إليه أملاً في سند أبيّ، ليس سوى إرهابيّ استحوذ على صوتها بسلطة ماله".²

إنّ هذه القضايا المطروحة في الرّواية، مثّلت جسورًا طرحتها المرأة لتنقل آلامها وحروبها الشّعواء الصّامتة حينًا، والصّارخة حينًا آخر؛ وسعت إلى التّمرد عليها معلنة عصيائها لكلّ أشكال التّميش وسلب الحقوق وانعدام الوجود والذّات والهويّة.

II- أشكال صراعات المرأة في الأدب النسويّ:

إنّ أيّ محاولة للإنسان ليغيّر وضعه وينهض بذاته وينحت كيانه؛ لا بدّ أن تنطلق من إحساس بالذّوبان والجور، والقهر الذي يصل حدّ التّحكّم في المصير، فما بالك إن كان هذا الطّرف امرأة أحسّت بلا شينيّتها داخل مجتمعات ذكوريّة. ووصل الأمر حدّ تقرير مصيرها من قبل

¹ - أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص 23.

² - المصدر نفسه، ص 307.

السُّطلة الذَّكوريَّة نفسها؛ الأمر الَّذي ترك بداخلها إحساسًا بالمرارة دفعها في لحظة ما إلى إعلان صراع حدَّ ضدَّ الطَّرَف الآخر، وضدَّ نفسها القديمة الَّتِي قبلت بكلِّ تلك الممارسات. لقد خاضت المرأة متمثلة في شخصيَّة "هالة الوافي" في الرِّواية صراعات عدَّة بعضها خدمها القدر لتتجاوزها؛ والبعض الآخر عوّلت فيه على قدرتها وقوتها للتغلب عليها والتحرر منها. وسنحاول أن نبحث في مختلف أشكال الصراعات الَّتِي عايشتها "هالة"، بوصفها صوتًا نسويًا يتملح بين سطور الرِّواية، معلِّنا ثورة على كلِّ ما يسلب منه وجوده ويطمس ذاته.

- صراع المرأة مع النِّظام الأبويِّ ودعاماته:

النِّظام الأبويِّ نظام يقوم على الاستبعاد والتسلُّط، وتجزير تبعيَّة المرأة للرَّجل. إنَّه مجتمع ذكوريِّ، يحاول طمس ذات المرأة ونفي وجودها الاجتماعيِّ. وضمن الرِّواية، سرقت العائلة من "هالة" طفولتها "إنَّها كمن تكتشف على كبر أنَّها لم تمتلك يومًا دمية، وأنَّهم سرقوا منها طفولتها"¹، وأخمدت السُّلطة الأبويَّة ولسنوات صوتها الَّذي كان يقول كلمات من طباشير، تقوم بمحوها من على اللُّوح في آخر الدَّرس"². فوالدها في حياته كان حريصًا على أن يصون صوته "بقدر ما حرس صمتها، لذا أراد لها مهنة لا يسمع لها فيها صوت، إلَّا بين جدران الصَّف الأربعة"³. إنَّ هذه السُّلطة الأبويَّة السَّائدة في المجتمعات، والَّتِي تجمع بين الهيبة وفرض الاحترام، تقوم أساسًا على علاقة عموديَّة مع الأسرة، تعكس سيطرة وتبعيَّة، واستبعادًا للمرأة عن كافَّة المجالات الَّتِي يرونها حكرًا على الرِّجال. فقد فرض الأب نفوذه على ابنته "هالة"؛ ولم تكن لها إرادة حتَّى في اختيار ما تريد أن تكونه. لقد كانت رافضة لنمط حياتها ذلك، وكان صراعها الداخليِّ قويًّا وإن

¹ - أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص 21.

² - المصدر نفسه، ص 27.

³ - المصدر نفسه، ص 27.

لم تقدر (لفرط التسلط الأبوي) أن تجاهر به دومًا، لكنّها على الأقل أظهرته حين احتجّت ورفضت أن تزوّج من شخص رأت أنّ لا تناغم بينهما، رغم رفض والدها وعدم اقتناعه¹. ولعلّ لطبيعة المجتمع التقليديّ الجزائريّ الذي نشأت فيه "هالة" دورًا في ترسيخ تلك السيطرة الأبويّة، ذلك أنّنا متى نظرنا في طبيعة النظام في هذا المجتمع نجده مرتبطًا بمقوماتٍ عدّة منها ما يلعبه نسق القرابة والسلطة التقليديّة من دور في دعمه.

مجتمع محافظ، يُمنع فيه حتّى المجاهرة بكلمة "حب" فقد "كان موجودا في أغاني أبيها لا في بيته، مسموحًا به للغرباء... لا لأهله. "وزمانها زمنٌ" من الأسلم فيه أن تكون قاتلاً على أن تكون عاشقًا"²، ويحظى فيه الشرف المرتبط بالجانب الجنسيّ في قبيلتها بمنزلة كبرى "إنّ امرأة لا تخشى القتلة، تخاف مجتمعاً يتحكّم حماة الشرف في رقابها [...] أنا ابنة جبال الأوراس لا تساهل فيها مع الشرف"³.

إنّ هذه السلطة الأبويّة -التي يدعمها نسق القرابة والسلطة التقليديّة، القائمان على روابط الدّم والمصاهرة والنسب التي تجمع أفراد العائلة الموسّعة- تجلّت قويّة صلبة؛ لهذا كان لها أثرها في حياة الشخصية الرئيسيّة وفي حضورها. لكن بعد استشهاد والدها، كتبت لها الأقدار أن تختار لنفسها طريقاً غير الذي رسمه والدها لها؛ طريقاً ومسارًا أطلقت فيهما العنان لصوتها الذي طالما عمد والدها إلى إسكاته، صوتها الحامل لقضيّتها ضدّ الإرهاب والإرهابيين.

لقد فتح لها موت والدها وغياب سلطته عليها طريقًا للحياة مبهجًا ومختلفًا عن روتينها اليوميّ القاتل سابقًا؛ ومنحها الجرأة لتتحدّى بعد ذلك سلطة القرابة وتغيّر حياتها وتغيّر

¹ - أحلام مستغاني "الأسود يليق بك"، ص 23.

² - المصدر نفسه، ص 26.

³ - المصدر نفسه، ص 16.

تلك السّلطة من موقع المعادي لها إلى موقع المساند "لقد غيّر تهديد الأقارب سلّم مخاوفي (...). تصوّر حين وقفت على الخشبة لأوّل مرّة، كان خوفي من أقاربي يفوق خوفي من الإرهابيين أنفسهم."¹ نجحت، ولاقت دعماً من تلك السّلطة نفسها.

- صراع المرأة مع سلطة الرّجل:

لاقت هالة شتى أنواع الاستبداد داخل عائلتها وعندما خرجت من القمقم العائليّ وجدت نفسها تواجه استعباداً عاطفيّاً²؛ وكأنّ قدرها "أن تلجأ إلى طاغية كلّما هربت من آخر. كالشعوب التي تستبدل بالطّاعة الغزاة، كلّ من استنجدت به كان ينوي احتلالها"³. لقد وضعت "أحلام مستغانمي" في طريقها رجلاً ليس سهلاً، ولا ساذجاً، أرادت لها منافساً قوياً حتّى تنتصر لها من رجل متزوّج تعود اصطياذ النّساء بماله، كلّ امرأة يستغلّها ويقضي منها وطره ويمضي إلى غيرها؛ يعلم أنّها أحببت ماله، ويعلم أنّ النّساء من حوله لا جولات لهنّ خارج السّيرير.⁴ لم يستطع النّظر إلى أيّ منهنّ على اعتبار أنّها امرأة لها كيانه المستقلّ، بل حصر نظره إلّهما في غرائزه، فكانت كلّ جولاته معهنّ قصيرة. ولأنّها مختلفة عن سائر النّساء اللاتي عرفهنّ قبلها، كانت "هالة" تخشى أن يخلط بينها وبين إناث الشّهوة، وصائدات الثّروة⁵.

لم تجعل "أحلام مستغانمي" من بطل روايتها "طلال هاشم" شخصاً ضعيفاً، بل أمّته بكلّ ما من شأنه أن يجعله في مركز قوّة "الثراء الفاحش، الوسامة، الأناقة، الرّقيّ"؛ لكن وضعت مقابله امرأة بسيطة، ليست في مستوى ثرائه و"ليس جمالها ما يأسره، هي ليست جميلة حدّ فقدان رجل مثله صوابه، ولا هي أنيقة أنيقة يمكن أن

¹ - أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص 16.

² - المصدر نفسه، ص 307.

³ - المصدر نفسه، ص 307.

⁴ - أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص 45.

⁵ - المصدر نفسه، ص 129.

تنازل بها النَّاس من حوله"¹؛ لكنّها تمتلك ما هو أعلى من المال، إنّها القناعة، والقوّة، وبساطة تداخلت مع الكبرياء وعزّة النَّفس، وهي التي تربّت في جبل "الأوراس" وتعلّمت من وقوفها على قمته "أن ترى العالم بساطاً تحتها"²؛ وتعلّمت وهي "على أعلى منصّة للطبيعة، ألا تقبل أن يطلّ عليها أحدٌ من فوق"³.

ولنا أن نتبيّن قوّة هاتين الشّخصيّتين في صورة كلّ منهما من وجهة نظر الطّرف الآخر، يقول في وصفها "هذه امرأة تكمن « أدواتها النسائيّة » في صفاتها الرّجاليّة"⁴، وتصفه هي بقولها "أيّ رجل هذا؟ سيّد مطلق يأتي عندما لا تنتظره، يقول ما لا تتوقّعه، يهجرها حين يشاء، يقتحم حياتها متى يناسبه، يشتري صوتها حين يريد، يضرب لها مثلاً حيث يحلو له"⁵. لكنّها لم تكن ساذجة، كان دائماً عقلها متيقّظاً، و "نصفها الشّرس يحاكم نصفها الوديع، ورجولتها تحاسب أنوثتها المطيعة. ألم يقل لها أحدهم متغزّلاً "أجمل ما في امرأة شديدة الأنوثة... هو نفحة من الذّكورة"؟ مصيبتها كونها اكتسبت أخلاقاً رجاليّة، وكثيراً ما قست على نفسها كما لو كانت أحدًا غيرها"⁶.

لقد عانت بطلة الرواية حرماناً عاطفيّاً داخل أسرتها، وفقدت حقوقها الفرديّة والاجتماعيّة، لكنّها جاهدت وغيّرت قدرها وسطّرت حياتها⁷، وقزّرت أن تعيش الحبّ الذي طالما كان مجرد ذكره محرّماً، ورأت في ملاحقة "طلال هاشم" لها فرصة لتعوّض ذلك

¹- المصدر نفسه، ص 43.

²- المصدر نفسه، ص 66.

³- المصدر نفسه، ص 66.

⁴- المصدر نفسه، ص 84.

⁵- أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص 135.

⁶- المصدر نفسه، ص 135.

⁷- المصدر نفسه، ص 22.

الحبّ العائليّ وهي التي "لم تلتق من قبل مع رجل في مدينة تننقّس الحرّيّة، ولا كانت يوماً حرّة. لعلّها فرصتها لكسر القيود واكتشاف العالم."¹

أحسّت أنّها بالحبّ "تثار لزمن قمعت فيه أنوثتها"² تمرّدت، وبالغت في تمرّدها، حتّى على الشرف بمعناه الأخلاقيّ ف "بمجرّد نومها جواره، كانت تخدش حياء عذريّة حرسها أبوها وأخوها وقبيلة من الرجال."³ لكنّها ولئن أطلقت الحرّيّة لجسدها فإنّها لم تنصع لنزواته، فتمرّدها لم يعنّ تخلّيها التّام عن شرفها كامرأة. لقد خلّف الحرص على صون شرف المرأة في قبيلتها عقدة بداخلها؛ فبطلة الرواية وإن حقّقت حرّيّتها الجنسيّة أبقت الوازع الاجتماعيّ، الذي بقي مسيطراً عليها بعض الشيء، نصب عينها "ها هو جسدها يستعيد فجأة ذاكرته القبليّة، ورجال قبيلتها يباشرون نوبة حراستهم، وقد خالهم غادروا"⁴.

وهي في الحقيقة صورة مخالفة كسرت بها "مستغانمي" النّمط السائد في الأدب الذكوريّ الذي ينتهي، غالباً، بتخلّي المرأة تماماً عن شرفها سواء كان برضاها أو إكراهها، ويصبح لزاماً أن تعاقب، وتكون في الحالتين من تحمل الخطيئة وحدها.

سعت المؤلّفة إلى هدم التّسلّط الذكوري على المرأة؛ لهذا، كانت دائماً ما تحطّ من سقف توقّعات "طلال هاشم" في كلّ مرّة يعليه فيها، أملاً منه في الانتصار على "هالة"، غير أنّها جعلته، في كلّ مرّة، يعيد حساباته من جديد "بدت له فجأة غريبة وشهيّة في غموضها وارتباكها الأوّل. كأنّه لم يعرف عنها شيئاً. كعذريّة كتاب مغلق على سرّه، لم تفصل أوراقه عن بعضها البعض بسكّين. كتاب من تلك الكتب القديمة، التي ما عاد المرء يتوقّع مصادفتها. اليوم تأتيك الكتب مفتوحة الأوراق، جاهزة للمطالعة الفوريّة."⁵

¹- أحلام مستغانمي: "الأسود يليق بك"، ص54.

²- المصدر نفسه، ص21.

³- المصدر نفسه، ص217.

⁴- المصدر نفسه، ص217.

⁵- أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص217.

رجلٌ يحبّ التسلّط، مهووس بامتلاك كلّ ما تصبو إليه نفسه، له طقوسه الخاصّة في الحبّ، يريد من المرأة التي يحبّها أن تحتاجه، أن يشعر بسلطته عليها، وأن يسيّرهما كما يشاء، فلا ترى غيره، ولا تعرف بعده. لكنّ هالة أريكته، لدرجة ما عاد يدري أحبّته لشخصه، أم لماله؟ أم أنّها أحبّت حبّه لها؟ وهو الذي اعتاد مراوغة النساء، لم يقدر على فهمها. امرأة جعلته "كلّما رفع سقف التحدّي عاليًا، قفزت أعلى من توقّعاته، لتثبت أنّها أنشئ التحدّيات الشّاهقة"¹، جعلته يغار عليها، وأيقظت فيه غيرة وغبضًا لا عهد له بهما، أراد أن يوقعها في شركه فوق معهما، لكن لا أحد منهما كان ليثق في الثّاني، امرأة أخرى ربّما كانت لتصدّقه لكن هي ليست كغيرها.

اختارت المؤلّفة سماتها، وصفاتها بعناية متقنة تضاهي جبروت هذا المتكبّر، جعلتها تسايهه حتّى في انعدام الثّقة، هي لا تثق بفارق الأصفر الكثيرة التي بينهما، وهولن يثق بها حتّى تترك كلّ شيء من أجله وتأتي إليه فقيرة، متنافسان متكافئان أحيانًا، وأحيانًا أخرى تعلو كفة على حساب الأخرى.

لكن لنا أن نجزم أنّ المرأة في هذه الرّواية فرضت نفسها، وأثبتت ذاتها، سمت عاليًا ولم تبق في الأسفل، فرضت وجودها عليه وجعلته دونما تدبير يعترف من تلقاء نفسه بضعفه أمامها، يبوح بأسراره التي كتّمها عن كلّ النساء من قبلها "اعتاد في كلّ علاقة مع امرأة أن يبقي مسافة للغموض، سكوته تكمن في سرّه، فكيف أفلت لسانه، فعزى لها وجدانه، كاشفا لها عن كدمات روحه؟"² لقد جعلته ضعيفًا، ولم تشعره بحاجتها إليه، الأمر الذي أثار غضبه، وكتب نهاية قصّة حبّهما، وهو المهووس بحبّ الامتلاك والتسلّط، وهي التي تمتلك كبرياء وعزّة نفس أبت معها أن تتنازل وتعتذر لأنّها لم تخطئ، وبقي هو ينتظر أن تأتيه طالبة أن يغفر لها.

¹ - المصدر نفسه، ص 247.

² - أحلام مستغاني "الأسود يليق بك"، ص 280.

لقد هزمته وتركته صغيراً "سكنه إحساس لم يحدث أن خبره في حياته: الشّعور بالإهانة."¹ أول امرأة تنصر عليه، ظهرت آثار الهزيمة على تراجع صحّته، مكابرها لم يسبق لامرأة أن طعنته في كبريائه "أيقظت فيه قسوة لا عهد له بها. لعلها أمراض الرجولة"²، الأمر ببساطة اختصرته "مستغاني" في الشّاهد بعبارة "أمراض الرجولة"، تلك هي صورة الرّجل، أينما كان، وكيفما كان، والرّجل في روايتنا هذه ما أراد لـ"هالة" يوماً النّجاح، كان يريد أن لا تكبر عليه، أن لا تقوى، أن يقيدّها، ويمارس سطوته عليها كما يريد، أن يحافظ على حدادها فلا ترى وجهها آخر للحياة إلّا من خلاله.

لم يتركها تكتشف شيئاً بمفردها، أراد أن يكون العين التي ترى العالم من خلالها، ولا تريها كلّ شيء. أوهمها أنّ نجاحها يعنيه، ولم يمدح صوتها يوماً، لكن حاول امتلاكه يوم اشترى جميع الكراسي وتركها تغني له وحده. أرادها امرأة مثاليّة لكن بالمقابل جرّدها من كيائها، وتحكّم في تحركاتها، ما كان يظنّ أنّها ستنتصر من دونه، وأنّها ستنجح بعد أن تفارقا، ما توقع أنّها ستتمرد عليه، وتنزع عنها ثوب الحداد، وتنزعه هو وتستغني عنه.

فكانت أولى خطوات التّخلّي أن تخلّصت من كلّ شيء يخصّه تقول المؤلّفة: "ستشرع بإعلان الحرب على كلّ ما يتشبّث به قلبها من أصفادٍ، بدءاً بجهاز الهاتف الذي أهداه إليها [...] في الحبّ، كلّ هبة مكيدة"³، أمّا هو فلم يستطع تجاوزها ونسيانها، لم تمنحه هدايا ليتخلّص منها، لكنّها أهدته رجولته⁴، كانت قويّة، ولم تكن لتقبل الخسارة "ماذا يعرف عنها هي سليلة الكاهنة"؟ امرأة لم تخسر حرباً واحدة على مدى نصف قرن (...) عزلاء انتصرت، بتلك

¹- المصدر نفسه، ص304.

²- المصدر نفسه، ص313.

³- أحلام مستغاني "الأسود يليق بك"، ص309.

⁴- المصدر نفسه، ص219.

الهشاشة التي صنعت أسطورة شجاعتهما¹، خيبت توقّعاته حين انتظر خسارتها لكلّ شيء وعودتها ذليلة تركع تحت قدميه.

لكنّه رآها "تماما كما يوم رآها لأول مرّة، وهو جالس ذات مساء يتفرّج عليها عبر شاشة تلفازه. لقد عادت عصيّة وقصيّة كما كانت"²، باستغنائها عنه انتصرت عليه في صراع صامت وجد منذ بداية الرواية وانتهى مع آخر سطورها بصورة المرأة الشامخة والمتحدية، المرأة "الفحلة"³ باللّغة الجزائريّة التي "حاربت بأنوثه كلّ النساء، لتكسب معاركها بفحولة كلّ الرّجال"⁴.

عبرهاتين الشّخصيّتين ضمن روايتها، رفعت "أحلام مستغانمي" راية المرأة، أمّدتّها قوّة ومنحتها قضيّة في حين جرّده هو من أيّة قضيّة. جعلتها متمزدة، عصيّة زئبقية. انتقمت لها من مجتمع ذكوريّ مارس عليها شتى أنواع التّسلّط، فكانت قضيّتها حرب ضدّ تملك الرّجل (أبًا- رجال القبيلة- حبيبا..) الذي شدّها إلى الأسفل، ومنعها من أن تبعد.

لهذا سمّيت رواياتها بروايات المرأة، والمرأة الجزائريّة على وجه التّحديد التي "لم تخسر حربًا واحدة على مدى نصف قرن. كلّما تكالب عليها الأعداء، وتناوب الخصوم على مضاربتها، خسروا رهان رجولتهم في إركاع أنوثتها. من حيث جاءت، تُولد النّساء جبلاً... أمّا الرجال فيؤلدون مجرد رجال"⁵. من هنا، يمكن القول إنّ الصّراع بين المرأة والرّجل قد تحوّل من الواقع إلى حيّز الأدب، ولعلّ هذا ما دفع "نوال السّعداوي" إلى الجزم بأنّ الرّجال والنّساء مرتبطون بعلاقة أكثر عدوانية من أيّة علاقة يمكن أن تقوم بين إنسان وإنسان.

¹- المصدر نفسه، ص327.

²- المصدر نفسه، ص326.

³- المصدر نفسه، ص300.

⁴- المصدر نفسه، ص300.

⁵- أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص327.

3- صراع المرأة مع ذاتها:

لئن حاولت "أحلام مستغانمي" جعل بطليّ روايتها متكافئين، متساويين، على درجة متقاربة من الكبرياء وعزّة النَّفس، فقد كان لا بدّ لكفّة أن تغلب على الأخرى. لهذا حرص السرد في رواية "الأسود يليق بك" على انتصار شخصية "هالة الوافي"، بعد أن قدّم لنا نموذجين متصارعين، ومكّننا من الاطلاع على بنية هذا الصِّراع الذي انتهى بحرب داخلية ذاتية قامت بها "هالة" ضدّ نفسها القديمة؛ لتتخلّص من أثر هذا الرّجل.

هذا الرّجل الذي طالما سيّرها كما أراد، وأتى بها إلى حيث أراد، وهجرها متى عنّ له، سجّنها في اللون الأسود، وشدّها إلى الوراء في طريق نجاحها الفنّي، أرادها أن تخسر كلّ شيء ويبقى هو الأهمّ والوحيد بحياتها، حتى صوتها اشتراه بماله "لكنّه لم يكن يحمي صوتها، بل مهرة ليس من حقها أن تصهل خارج حظيرته"¹.

عبّرت الرواية عن حياة هالة الاجتماعية والنفسية والعاطفية وأرادت لها أن تثور في النهاية على رجل أعمته الغيرة وغالطته المادّة، كان يعتقد أنّ بالمادّة تباع المشاعر وتشتري، تحدّته وخلفته وراءها "أول ما اعتلت المنصّة، اختفى طيفه من القاعة، غدا خلفها، قرّز قلبها ألا يلتفت إليه، فالتهرلا يلتفت وراءه"²، لقد أثبتت "أحلام مستغانمي" عبر شخصية "هالة" أنّ سبب استسلام المرأة وتملّك الرّجل واستعباده لها، وسعيه الدائم إلى إبقائها في دائرة نفوذه ليس قوّته فحسب، بل رضوخها هي وعدم رفضها.

هالة "بملاء إرادتها تركته يستأثر بها [...] كانت سطوته تمنحها ذلك الشّعور الذي تهزم أمامه جميع النّساء: الإحساس بالحماية"³، ولعلّ هذا يتأكّد في نهاية السرد عندما قرّرت

1 - أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، ص 308.

2 - المصدر نفسه، ص 328.

3 - المصدر نفسه، ص 307.

لفرط خوفها من خسارته أن تتحرّر من الخوف، قرّرت أن تريح الرّهان¹. رفضت عنها حبّها له، الذي طالما أرادها أن تبقى مسجونة فيه، وقرّرت أن تحبّ نفسها "مذ أدركت أن طغاة الحبّ كطغاة الشّعوب، جبابرة على النّساء، وصغارًا أمام من يفوقهم جبروتًا (...). صغر السّادة في أعينها، وغدت سيّدة نفسها، لا تخاف غير الله"².

توصّلت إلى هذه الحقائق بعد أن غاصت في أعماقها، تأملت نفسها، التمسّت دواخلها، بحثت عن قوّتها المدفونة فيها، أخرجتها، وأعلنت وجودها، وفرضت ذاتها، رفضت عنها حبّ "طلال هاشم" وانصرفت عن فكرة الانتقام منه لأنها تعلم أنّ الانشغال بالانتقام يبقينا أشقياء، أرادت أن تنشغل بنفسها وتحبّها وتقدرها، لتعوّض ما فاتها "صوتها اللّيلة يغني لحريّتها. يصدح احتفاءً بها. صوتها اللّيلة لا يحبّ سواها. لأوّل مرّة تقع في حبّ نفسها"³.

إنّ بطلة الرواية التي لمحنها منذ مستهلّ السّرد ترتدي اللّون الأسود، لون الحزن، والحداد، لم يكن حدادا على وفاة والدها وأخيها فحسب، وإنّما هناك حداد آخر يرمز إلى مضمر ثقافيّ يستعبد المرأة العربيّة ويقهرها، ينتهك حريّتها "كان يريد أن يديم استعبادها"⁴؛ فخلف ذلك السّواد حُجبت امرأة متمرّدة عن السّلطة الذكوريّة التي كرّسها العرف الاجتماعيّ.

امرأة تمارس حريّتها وتثور في نهاية الرواية على المركزيّة الذكوريّة وتخلع عنها السّواد⁵ وتعوضه باللّازورديّ، لتعلن عبره، عصيائها، وتمرّدها، أمام العالم أجمع "كان يعنمها أن تقهره. كانت في لونها الجديد شهية كمؤامرة عشقيّة. تركت له الأسود، فليتردّ هو الحداد

¹ - المصدر نفسه، ص234.

² - المصدر نفسه، ص327.

³ - أحلام مستغاني "الأسود يليق بك"، ص330.

⁴ - المصدر نفسه، ص330.

⁵ - المصدر نفسه، ص330.

عليها. "لكلّ طائر لون صيحته". ارتدت لون العصيان"¹، وخرجت تغني "لكسر القيود التي يكبل به الرجل العربيّ المرأة"²، ولتحتفل بتاريخ ثورتها وانتصارها وتذكّره دوّمًا، انتصار وانقلاب وثّقت لهما بـ"تاريخ 5 ديسمبر، كانت تحتاج إلى تاريخ لتوثيق انقلابها، لا شيء يعود كما كان يومها، لن تقلب صفحة حياتها.. ستمزّقها بشهادة الكاميرات"³.

خاتمة:

في ختام هذا المقال الموسوم بـ"صراعات المرأة في الأدب النسويّ وقضاياها، دراسة تطبيقية على رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي" نصطفي جملة من النتائج؛ منها أنّ الكتابة النسوية قد وقفت موقفًا مضادًا من المجتمع الذكوريّ الذي دعمته الأنساق الاجتماعية، والثقافية وسواها؛ فسعت إلى الخروج من دائرة السلطة الأبوية، وهيمنة الأعراف والتقاليد، والتحرر من القيود التي جعلتها مسيرة. مثلما شكل الأدب النسويّ من خلال هذه الرواية صراعًا وثورة ضدّ كافة أشكال التهميش المسلّطة على المرأة، ووسيلة لفرض الوجود وإثبات الكينونة، وأيضًا ثورة ضدّ المرأة نفسها، التي رسّخت فيها الأعراف والتقاليد تلك النظرة الدونية لذاتها أمام الرجل؛ فجاءت هذه الرواية موجهة في جانب منها إلى مخاطبة دواخلها؛ دافعة إيّاها إلى اكتشاف ذاتها، والبحث عن مواطن القوة الدفينة فيها وإخراجها، ولتثبت لها أنّ الرجل ليس أقوى منها إرادَةً، هو فقط سعى إلى قتل إرادتها.

¹ - المصدر نفسه، ص328.

² - لمصدر نفسه، ص78.

³ - المصدر نفسه، ص323.

هو تمادي، لقلّة خبرتها في الحياة، ولخنوعها طيلة العصور الماضية لهذا التسلّط الجائر على حرّيتها، الطّامس لكيانها. فعبر الكتابة متمثّلة في رواية "الأسود يليق بك"، وعبر "غناء" بطلتها "هالة الوافي أثبتت" أحلام مستغانمي "أنّ سلطان الكلمة في شتّى تجلّياته هو إعلان عصيان، وإعلان مضيّ زمن ركّنت فيه المرأة ولزمت زاوية منسيّة خلّفها فيها الرّجل ليمضيّ قدماً دونها.

هكذا تكون الكتابة النسويّة كتابة مؤدلجة، تتخذ موقفاً ضدّ التسلّط الأبويّ، وضدّ كافة أشكال التّمييز بين المرأة والرّجل، التي اتّخذت من الأدب منبرا لإعلاء صوتها والتّنديد بكافة أشكال العنف الممارس عليها¹ فأعلنت عصيانها الفكريّ والجنسيّ، على مجتمع قهرها بالقمع لسنين، ساعية إلى الانتصار للعنصر النسائيّ، في شتّى المجالات الحياتيّة، منافسة للرّجل متفوّقة عليه، وأحياناً أخرى ساعية إلى الانتقام منه.

¹ أحلام معمري "إشكاليّة الأدب النسويّ بين المصطلح واللّغة"، مجلّة مقاليد، ع2، منشورات جامعة ورقلة، 2011، ص152.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

مستغانمي، أحلام. الأسود يليق بك. بيروت، لبنان: نوفل، هاشيت انطوان، 2012.

المراجع:

إدريس، محمد جلاء. الأنا والآخر في الأدب الأنثوي: دراسة حول إبداع المرأة في الفن القصصي. دم.: مكتبة دار الآداب، 2000.

أفاية، محمد نور الدين. الهوية والاختلاف: في المرأة، الكتابة والهامش. الدار البيضاء-المغرب: إفريقيا الشرق، د.ت.

بعلي، حفناوي. "النقد النسوي وبلاغة الاختلاف في الثقافة العربية المعاصرة." مجلة الحياة الثقافية، ع. 195، تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، 2008

داوود، محمد، ابن جليد، فوزية، كريستين. الكتابة النسوية: التلقي، الخطاب والتمثيلات. دم.: دوتريد، منشورات CRASC، 2010.

ابن جمعة، بوشوشة. الرواية النسائية المغربية. ط.1. تونس: المغربية للطباعة والنشر والإشهار، 2003.

خضير، جبر جابر. "المرأة والسلطة قراءة في الموروث النقدي." مجلة واسط للعلوم الإنسانية، عدد 19.

الرملي، محسن. "الحرية في الأدب النسائي." جريدة الثورة، يومية سياسية، مؤسسة الحرية والصحافة، دمشق، سوريا، 2009.

شعبان، بثينة. مائة عام من الرواية النسائية 1899-1900. ط.1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 1999.

عبد النور، إدريس. الرواية النسائية والواقع بين سوسيولوجيا الأدب ونظرية التلقي"، ط.1. د.م.: دن، 2005.

العبد، يمنى. الرواية العربية المتخيّل وبنيتها الفنيّة. ط.1. بيروت، لبنان: دار الفرابي، 2011.

مجموعة من المؤلّفين. الحركة النسوية. ط.1. ترجمة: جمال الجزيري. د.م.: المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

محمّد الغدامي، عبد الله. المرأة واللّغة. ط.2. الدّار البيضاء: المركز الثقافيّ العربيّ، 1977.

ابن مسعود، رشيدة. المرأة والكتابة. إفريقيا الشّرق: دن، 1994.

معمري، أحلام. "إشكاليّة الأدب النسويّ بين المصطلح واللّغة"، مجلّة مقاليد، ع.2، منشورات جامعة ورقلة، 2011.

هدى المدغري، نعيمة. النّقد النسويّ: حوار المساواة في الفكر والأدب. ط.1. الرّباط، المغرب: منشورات فكر دراسات وأبحاث، 2009.

أبو النّجا، شيرين. عاطفة الاختلاف: قراءة في كتابات نسويّة. ط.1. مصر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، 1998.

المراجع الأجنبية:

- Alexander, Meena. *Women in Romanticism: Mary Wollstonecraft, Dorothy Wordsworth, and Mary Shelley*. NY: Rowman and Littlefield, 1989.
- Botting, Eileen Hunt & Houser, Sarah L. '*Drawing the Line of Equality*': *Hannah Mather Crocker on Women's Rights*. The American Political Science Review. American Political Science Association, 2006.
- Jakobson, Roman. *Question de poétique*. Ed, Seuil, 1973-
- Taylor, Ann. *Feminism, Social Science, and the Meanings of Modernity: The Debate on the Origin of the Family in Europe and the States, 1860–1914*. The American Historical Review, 1999